Absurdity in the second Higri age promiscuity poetry

Dr. Hekmat Issa*
Mohsen Haydar**

(Received 8 / 4 / 2022. Accepted 2 / 6 / 2022)

□ ABSTRACT □

Absurdity is a linguistic term that implies multiple meanings such as confusion and belittling, and it is an act that does not reveal any meaning, so disregard comes above the law, and carries within it ridicule and rebellion against the fixed answers . At the same time, and promiscuity is the open literature that holds within skepticism, atheism, arrogance, contempt and recklessness. It also implies rebellion against the constant whether literature, art, life or religion. This term appeared in the Greek philosophy of the Epicurean philosophers and in modern philosophies where it was discussed by existentialists such as Heidegger, Kierkegaard, Sartre, Albert Camus among others This research seeks to studying the absurdity of the free poets in the second century AH; As that era was actually distinguished from others by its economic and intellectual prosperity, and its poets were distinguished by deep culture and familiarity with incoming cultures and philosophies.

Keywords: Absurdity, promiscuity, the second century AH

* **Professor - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.**
** **PhD Student - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.**
Mohsen.haydar@tishreen.edu.sy

العبثيّة في شعر المُجون في القرن الثاني الهجري

د. حكمت عيسى*

محسن محمد حيدر**

(تاريخ الإيداع 8 / 4 / 2022. قبل للنشر في 2 / 6 / 2022)

□ ملخّص □

العبث مصطلحٌ لغوي يحمل معاني متعدّدة كالخلط والاستخفاف، وهو الفعل الذي لا يحمل أيّ معنى، فيأتي الاستخفاف تعالياً على القانون، ويحمل بين ثناياه سخريةً وتمرّداً على الإجابات الثابتة في آنٍ معاً، وشعر المُجون في القرن الثاني الهجري هو الأدب المكشوف الذي يحمل في طيّاته الشكّ والإلحاد والتظرّف والاستهتار والخلاعة، والتمرّد على الثابت في الأدب والفنّ والحياة والدين، وقد ظهر هذا المصطلح في الفلسفة اليونانيّة عند الفلاسفة الأبيقوريّين، وفي الفلسفات الحديثة تحدّث عنه الوجوديّون مثل هيدغر و كيركجارد وسارتر وألبير كامو... وغيرهم، ويسعى البحث لدراسة عبثيّة الشعراء المجّان في القرن الثاني الهجري؛ لأنّ ذلك العصر تميّزَ عن غيره بالازدهار الاقتصادي والفكري، وتميّزَ شعراؤه بالثقافة العميقة والاطّلاع على الثقافات والفلسفات الوافدة.

الكلمات المفتاحية : العبثيّة ، المُجون ، القرن الثاني الهجري

*أستاذ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

**طالب دكتوراه– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

Mohsen.haydar@tishreen.edu.sy

مقدّمة:

العبثيّة مصطلحٌ لغويّ وأدبيّ وفلسفيّ حديث يحمل معاني الرفض والتمرّد والاستخفاف، و هي خروجٌ وتمرّدٌ واستخفاف، و سعيٌ إلى التعويض بشيءٍ يمكنهم من الخروج على الواقع، وظاهرة المجون عند الشعراء القرن الثاني الهجري قضيّة إشكاليّة عند الباحثين والدرسين للأدب العربي، فهي تحمل في طيّاتها الثورة والتمرّد والرفض والخروج والاستخفاف والتظرّف، ومن هذا المنطلق فقد وجد البحث مجالاً للبحث والدراسة لتشابه الأفكار والأهداف على الرغم من الفارق الزمني الكبير بينهما، وتسعى الدراسة إلى الغوص في أشعار المجّان واكتشاف نقاط التلاقي بينهما .

أهميّة البحث وأهدافه :

لقد سعى البحث إلى استقراء النصوص الشعريّة للشعراء المُجّان في العصر العبّاسيّ الأوّل ، ودراستها ، وتحليلها محاولاً الكشف عن ملامح العبثيّة في أشعارهم. وتنبع أهميّة البحث من كونه يدرس ظاهرةً إشكاليّة في الأدب العربي هي ظاهرة المُجون، ثم يبحث في تلاقيها مع ظاهرة أدبيّة وفلسفيّة حديثة هي العبثيّة، و تكاد تغيب الدراسات عن البحث في موضوع العبثيّة في شعر المجون في القرن الثاني الهجري، ما عدا بعض الدراسات التي تناولت العبثيّة في الشعر الجاهلي أو عند شاعرٍ معيّن كأبي نواس على سبيل المثال لا الحصر، ومن هنا تبرز أهميّة البحث في العبثيّة في شعر المجون في القرن الثاني الهجري كإشكاليّة فكريّة فلسفيّة في الشعر العربي القديم، وأمّا هدف البحث فهو تسليط الضوء على أشعار المجّان في القرن الثاني؛ بغية الكشف عن ملامح العبثيّة في أشعارهم ، وإبراز قيمتها الفنيّة.

منهجيّة البحث :

إنّ دراسة العبثيّة في أشعار المجّان ستقوم على استقراء النصوص الشعريّة ، و إبراز قيمتها الفنيّة ، وقد وجدتْ في المنهج الوصفي خير معينٍ ، لأنّه سيفيدها في التفسير والتحليل والتقييم، وفي قراءة النصوص وتحليلها بقدر استجابتها له ، إضافةً إلى المنهج النفسي الذي يساعد في الكشف عن جماليات النصوص الشعرية ، واستكشاف بواطنها ، و فهم ما تحويه من أبعادٍ ودلالاتٍ ، وفي تفسير الظواهر الأدبية ، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها ، والبحث لن يغفل الإفادة من المناهج النقديّة الأخرى التي تُعنى بالمكوّن الفكريّ للشعر ، إذ إنّ من المتفق عليه أنّ النصّ الشعريّ لا يسير في نظامه اللغويّ أو الجماليّ في اتجاه واحد ، وإنّما تتداخل فيه عناصر شتّى، ممّا يفرض على الباحث الإفادة من تلك المناهج في الدراسة التطبيقيّة ، ومنها المنهج التاريخيّ؛ لأنّ المؤثّرات التاريخيّة حاضرة فيه بقوّة، والمنهج الاجتماعيّ؛ لأثره البالغ في تشكيل الوعي والإحساس .

العبث لغةً:

يأتي معنى العبث من باب فرح ولعب وضربَ ، ويُقال خلط واتّخذ العبثيّة ، وهي طعامٌ يُطبخ ، والعبّيث كسكّين : الكثير العبث []. وفي لسان العرب: العبث مصدر لفعل عبِثَ بكسر عين الفعل عبثاً: لعب ، واسم الفاعل : عابث، أي لاعب بما لا يعنيه وليس من بابه[]. ويمكن أن يكون العبث هو العمل الذي لا حكمة فيه ولا فائدة[].

العبث اصطلاحاً :

العبث من رؤية فلسفيّة : تكلّم الأبيقوريّون في الفلسفة اليونانيّة القديمة عن الآلهة التي تدير ظهرها للناس، إذ إنّ أمامها أعمالاً أهمّ من الاهتمام بالبشر والعناية بمصيرهم[].

ولعلّ الفيلسوف مارتن **هيدغر** من أوائل من تحدّث عن العبث في الفلسفات الحديثة ، إذ أطلق مصطلح العبث على الإيمان المسيحي[] ، وكان الفيلسوف الوجودي **كيركجارد** قد أكّد ما ذهب إليه هيدغر عندما قال: إنّ المسيحيّة عبثٌ ؛ لأنّه ليس من إنسانٍ يستطيع تبرير مبادئها عقلانيّاً[].

فالعبث إذن مصطلحٌ لغويّ يحمل معاني متعدّدة كالخلط والاستخفاف ، وإنّه الفعل الذي لا يحمل أيّ معنى ، فيأتي الاستخفاف تعالياً على القانون أو الأسلوب ، يمكن أن نطلق هذا المعنى على الاستهزاء والاستخفاف الذي يحمل بين ثناياه سخريةً وتمرّداً على الإجابات الثابتة في آنٍ معاً ويمكن القول : (ينطلق العبث من عجز العقل الإنسانيّ عن تحديد أبعاد الوجود، فالإنسان متعطّش إلى كمالٍ لا يتحقّق إلا في عالمه اللا مستقرّ)[].

والمُجون في الشعر هو الأدب المكشوف[] ، ويحمل معاني متعدّدة كالشكّ والإلحاد والتظرّف والخلاعة ، ويحمل أيضاً معنى الاستهتار وعدم المبالاة وشرب الخمر[].

والمُجون وجهٌ من وجوه التهتّك والعبث والضياع الذي يتخبّط فيه الإنسان، وقد يكون المجونُ تعبيرَ الشاعر الماجن عمّا يعانيه من مجتمعه بأشكاله كافةً واختلافاته وتيّاراته، وتعبيراً عمّا يعانيه من مواجهته مع الحياة والمجتمع والدين والسياسة ، ومن ذلك يمكن القول : إنّ العبث وجه من وجوه المُجون – في القرن الثاني الهجري– ولمّا كان العبث الذي يُلمح في أشعار المُجّان حالةً من الهروب والمواجهة في آنٍ معاً ، الهروب من الواقع ومواجهته بالرفض والاستخفاف والتمرّد ، فإنّه لا يخلو من التخبّط الذي يعيشه الإنسان إزاء حركة العالم وقوانينه ومتغيّراته ولا يخلو أيضاً من الألم والمعاناة ، فالعبث محاولةٌ لتجاوز الألم أو الخروج من وطأته وآثاره النفسيّة والفكريّة ، فالألم النفسي يكون فرديّاً في التجربة العبثيّة ، ولكنه اعتباراً من حركة التمرّد يشعر بأنّه ألمٌ جماعيّ، ويصبح مصيراً مشتركاً بين الجميع[].

والعبثيّة خروجٌ وتمرّدٌ واستخفاف وقد يلجأ العابثون إلى التعويض بشيءٍ يمكنهم من الخروج على الواقع ، (فيحاول –العابثُ– الهربَ من ذاته، ويسعى إلى تخدير وعيه فلا يعثر إلا على الخمرة، فهي التي تميت حسّه بذاته وشعوره الراغب)[].

ولعلّ هذا ما تجده الدراسة في مُجون الشعراء في القرن الثاني الهجريّ ؛ لأنّ أسلوبهم في الحياة و في الشعر يمثّل في معظمه ثورةً على القيود الفنيّة والحياتيّة معظمها ، و دعوةً في الوقت عينه إلى الحريّة ، إلى الرفض والتمرّد على قيم الأقدمين وعاداتهم ، ودعوا إلى إنشاء قيم وأخلاق جديدة تلائم حياتهم ، وتنسجم مع أفكارهم وأهوائهم ، وهنا يحضر بشكلٍ جليّ قول أبي نواس :

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ

وقوله الآخر مطالباً بالخمرة الداء والدواء، مصرّاً عليها ، و رافضاً من يلومه فيها :

دع عنكَ لومي فإنّ اللّوم إغراءُ و داوني بالتي كانت هي الداءُ

صفراءُ لا تنزلُ الأحزان ساحتها إن مسّها حجرٌ مستّهُ سرّاءُ

والتمرّد من أبرز سمات العبثيّة وهي أيضاً من الخصائص التي تميّز شعر المجون في القرن الثاني الهجري ، ومجون الشعراء وقتئذٍ يمكن تصنيفه في ثلاثة محاور: التمرّد الفنّي ، والتمرّد الديني، والتمرّد الاجتماعي (الحياتي) .

التمرّد الفنّي:

كان التمرّد الفنّيّ بارزاً في ثورة الشعراء المُجّان على منهج القصيدة العربيّة الكلاسيكية وعمود الشعر ممثّلاً بالمقدّمة الطلليّة ، واتّباع طرق الجاهليين في الشعر، واستخدام غريب اللغة ، فقد تعرّضوا لها، وواجهوها بدعوات مضادّة تقوم على رفض أساليب القدماء ومنهجهم في الشعر والحياة ، وكان أبو نواس زعيم هذه الدعوة و رائدها من

الشعراء المُجّان، وإن كان قد سبقه إليها بعض الشعراء كأشجع السلمي الذي تبنى هذه القضيّة وحمل لواءَها ، إذ يقول:

مـا لي للربـع والرسـومِ هُنّ طريقٌ إلى الهمومِ
لَلحظُ طرفٍ وغمزُ كفٍّ وخمرةٌ من بنـانِ ريمِ
وريحُ ريحـانةٍ بمسـكٍ تدعو نديمـاً إلى نديمِ
أحسن من خيمةٍ وربعٍ تجرّحه الريح بالنسـيمِ

فالشاعر يطالب الشعراء بأن تكون المقدمات والقصائد –بشكلٍ عام – متّصلةً بالبيئة، ومتطوّرةً بتطوّرها ، فهم لا يعرفون من المرابع إلا أسماءها، ولم يعايشوا البوادي والمراعي والخيام ، وإنّما كانت معرفتهم وثيقة بمجالس اللهو والغناء، لذلك حريٌّ بهم التعبير عمّا عرفوه وعايشوه وأحسّوا به ؛ أي من حقّهم أن يتحدّثوا في أشعارهم و مقدّمات قصائدهم عن واقع حياتهم، ويُعدّ الشاعر أبو حيان الموسوس[] من الشعراء الذين دعوا إلى وصف الحياة الحاضرة بكرومها وخمورها وحاناتها وحدائقها، والتحلل من وصف الأطلال الدارسة بقوله :

لا تبكِ هنـداً ولا المواعيسـا ولا لربـعٍ عهـدتَ مـأنوسـا
و قـف بقطربـلٍ ونزهتهـا واحبس بها عن مسيرك العيسا

ومن الشعراء أيضاً ديك الجنّ الحمصي ، وعبد الله بن أبي أميّة و أبو المخفّف عاذر بن شاكر، وعلى نهجهم سار مطيع بن إياس مكرّراً المعاني ذاتها في قصيدته التي مدح فيها الغمر بن يزيد[]:

لا تلحُ قلبك في شـقائهِ ودع المتيّـم في بـلائـهِ
ودع النسـيب وذكرهُ فبحسب مثلك من عنائهِ

ولم يكن بشار بن برد بعيداً عن مذهبهم في رفض الوقوف على الأطلال ، فقد استهزأ بالأطلال ومن يبكيها ، إذ يقول[]:

كيف يبكي لمحبسٍ في طلول من سيبكي لحبسِ يومٍ طويلِ
إنّ في البعث والحساب لَشغلا عن وقوفٍ برسمِ دارٍ محيلِ

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشعراء المنادين بالتجديد كانوا (يدعون إليه دعوات مختلفة، فمنهم من يفضّل تغيير مقدمة بمقدمة، ومنهم من كان يفضل ترك المقدمات كلها ، والأخذ بأهداب الموضوع مباشرةً دو بسطٍ أو تمهيد)[].

وعلى الرغم من أنّ أبا نواس لم يكن وحده في الدعوة إلى التجديد ورفض التقليد والثورة على الأطلال ، والنمط القديم في الحياة والشعر، ورفض الحياة الجاهزة ، فإنّه يعدّ(أهمّ من حمل رايات الثورة ورفع شعاراتها وعمل على نشرها وإعلانها)[].

فأشعاره مليئة بالثورة على الأطلال ، و الدعوة إلى التحلل من بكاء المنازل الدارسة ، ونبذ افتتاح القصائد بالأطلال ، ووصف الدمن والرسوم ، ومن ذلك قوله[]:

لا تبكِ رسـماً جـانبَ السـندِ و لا تجـدْ بالدمـوعِ للجـردِ
ولا تعـرّج علـى معطّلـةٍ ولا أثـافٍ خلتْ ولا وتـدِ
و مِلْ إلى مجلـسٍ على شـرفٍ بالكـرخِ بيـن الحديـقِ معتمـدِ

وقوله الآخر الذي يذمّ فيه الطلول ويدعو لهجرها ، وسلوك طريق المجون والعبث وشرب الخمر الذي يزيل الهمّ والغمّ[]:

انس رسـمَ الديار ثمّ الطلولا واهجر الرّبع دارساً ومحيلا
هل رأيت الديار ردّت جواباً و أجابت لذي سـؤالٍ سؤولا
واشـربنها كأنّها عينُ ديكٍ يطردُ الهمّ طعمُهـا والغليلا

وكثيراً ما تقترن ثورة الشعراء المجّان على النمط الشعريّ القديم والمقدّمة الطلليّة بالسخرية من أنصار القديم، وممّن يتمسّك بالافتتاحيات التقليديّة من جهة ، والحضّ على وصف الخمر ومجالسها ، ووصف محاسن الحياة الجديدة ، وما فيها من رقّةٍ ونعومةٍ، كقول أبي نواس[]:

قلْ لمن يبكي على رسمٍ درسْ واقفاً ما ضرّ لو كان جلسْ
اتركْ الربعَ وسلمى جانباً واصطبحْ كرخيّةً مثلَ القبسْ

التمرّد الدينيّ :

و إذا ما كان التمرّد الفنّي سمة غالبة على معظم الشعراء المجّان، فإنّ أكثر ما يميّزهم هو التمرّد الديني ، فالتطوّر الاقتصادي في العصر العباسي الأوّل ، وما رافقه من تطوّرٍ فكريّ واجتماعيّ ، وكثرة الفق الدينيّة والدعاة والمنظرين لها ، والاطّلاع على الثقافات و الفلسفات الوافدة ، وغير ذلك من أسباب ، قد كان لها أثرٌ كبير في غلبة روح الشكّ في النفوس، هذا الشكّ الذي يمثّل استجابةً للحياة نفسها وما رافقها من أحداث ، ومن ذلك قول أبي نواس الذي يبيّن فيه أنّ الموت هو الحقيقة الوحيدة في الوجود ، وكلّ ما سواه باطلٌ[] :

يا ناظراً في الدّين ما الأمرُ لا قدرٌ صحّ ولا جبرُ
ما صحّ عندي من جميع الذي يُذْ كرُ إلاّ الموتُ والقبرُ

و إذا كانت روح الشكّ – في القرن الثاني الهجريّ– غالبةً على نسبةٍ كبيرة من الناس بمن فيهم العلماء والشعراء والمتكلمون... فإنّه من البديهي أن تظهر ملامحه في كتاباتهم ، وأن تؤثّر في أفعالهم و أقوالهم ، ويتجلّى ذلك في الخروج عن المتعارف عليه وعمّا اعتاده الناس ، وهذا الخروج يمكن أن يُحدث هزّةً قويّةً في النفوس لدى المجتمع المحافظ والسلطة، مع الإشارة إلى أنّ الخروج عن التقليد المعهود كان مسموحاً به ما لم يكن له ترجمة عمليّة على الأرض ضدّ السلطة ، فقد (تسامحَ الخلفاء العباسيون في أمور الدين ، وأطلق الفكر من قيود التقليد إلا ما يمسّ الدولة أو الخلافة)[] .

وإذا كان الشكّ من جهة ، والإحساس بوطأة الزمن وقسوة الحياة ، والإحساس بأنّ الموت والفناء قادمان لا محالة من جهة ثانية ، فهل من سبيلٍ لديهم لمواجهة مجمل هذه الأمور إلاّ بالإقبال على الحياة وملذّاتها ، أو الاتجاه إلى الجانب الآخر المتمثّل بالزهد و التنسّك بوصفه ردّ فعلٍ على هذا الواقع ؟

وهذا ما يظهر في قول أبي نواس الذي لم يُخفِ خوفه من الموت ، وإحساسه بوطأة الزمن وثقله عليه ، وكيف واجهه بالهروب من خوفه ويأسه بالإقبال على دروب اللذة وشرب الخمر، إذ يقول[]:

رأيتُ الليالي مرصداتٍ لمدّتي فبادرتُ لذّاتي مبادرة الدهرِ

واللذّة عند الشعراء المجّان تقترن بالإصرار عليها و البوح والمجاهرة بها وعدم كتمانها كقول أبي نواس[]:

لا تصحبنّ اللذّاتِ مكتتماً واغدُ إليها كخالعِ الرسنِ

ولا بدّ من الإشارة إلى تعرّض المجّان للمقدّس الديني الذي واجهوه بالتمرّد عليه، ورفض الانصياع لأوامره ونواهيه، واستخدام مصطلحاته وألفاظه بدلالاتٍ جديدةٍ غير معهودة أو متعارف عليها ، وبأسلوبٍ جديد يضفي القداسة على اللهو والمجون (فالمقدّس الجديد هو، في آن، ما يناقض المقدّس الموروث، وما يلبّي حاجة الروح في اللحظة الحاضرة)[]. ولعلّ الوليد بن يزيد كان إمام الشعراء المجّان في تمرّدهم الديني واستخدام مصطلحات الدين لأغراض اللهو والمجون والعبث والتمرّد ، وذلك بقوله []:

قد جعلنـا طوافنـا بالدّنانِ حين طاف الورى بركنٍ يماني
سجد السّـــاجدون لله حقّاً وجعلنا سـجودنا للقنـــــاني

و والبة بن الحباب يشير إلى تغيّر المفهومات ، والاستهتار بالقيم في عصره ، وذلك عندما يقول[]:

إن كـان يُجزى بالخير فاعلـه شـرّاً ويُجزآ القبيح بالحسنِ
فويلٌ تالـي القرآن في ظُلم الـ ليلِ وطوبى لعـــابـد الوثنِ

و يصرّح أبو الهندي بتمرّده ، ويُظهر تحرّره من الدين والأعراف ، وثورته عليها تظهر من شربه الخمر في شهر رمضان ، والمجاهرة بذلك من دون مراعاة لأعراف الناس وقيود الدين في ذلك الشهر، إذ يقول[] :

شربتُ الخمرَ في رمضان حتّى رأيتُ البدر للشّعرى شريكـا
فقال أخي : الديوك مناديـــاتٌ فقلتُ له: وما يُدري الديوكا

أمّا أبو نواس فيطلب التقديس والتعظيم للخمر مشبّهاً إيّاها باللّه عزّ وجلّ، فهي وحدها التي تستحقّ التقدير على حدّ قوله[]:

أثنِ على الخمرِ بـآلائهـــــا وسـمّها بأحسن أسـمائهـا

وكثيراً ما دفعهم تمرّدهم الديني إلى الإلحاد المشوب بشتى أنواع التعابث و التماجن ، وإلى الشكّ و الإنكار ، كقول أبي نواس[]:

وملحّـةٍ باللومِ تحســـب أنّنـــي بالجهل أوثر صحبة الشـطّارِ
فدعي الملامَ فقد أطعتُ غوايتي وصرفتُ معرفتي إلى الإنكارِ
ورأيتُ إتيـــــاني اللذاذة والهوى وتعجّلاً من طيب هذي الدارِ
أحرى وأحزم مـن تنظّر آجـــلٍ علمي بـهِ رجـمٌ من الأخبـــارِ
مـا جـــاء من أحـــدٍ يخبّر أنّـــهُ في جنّةٍ من مات أو في النارِ

ولم يكن ديك الجنّ الحمصي بعيداً عن نظرائه المجّان من جهة الاستهتار والتشكيك والإنكار، وذلك حين قال[]:

أ أتركُ لذّة الصهباء عمداً لما وعدوه من لبنٍ وخمرِ
حيـــاةٌ ثمّ موتٌ ثم بعثٌ حديث خرافـةٍ يا أمّ عمرو

والخمر في أشعار المجّان تبدو وكأنّها السبيل الأوحد و الأنجع لمواجهة الواقع والزمن في آنٍ معاً ؛ لأنه يضمن لهم استمراريّة الحياة خارج إطار الزمن وحدوده ، فلا موتَ يقلقهم ، ولا همومَ تنغّص عيشهم ، وفي هذا المعنى يصرّح مطيع بن إياس، ويؤكد أنّ الخمر والسكر والعبث والمجون هي أقصى همّه في الحياة ، فيمزج مجونه بالشكّ والإنكار، ويسعى لإثبات ذاته وحريّته ، ويلجأ إلى المعشوق الأوّل والأخير، إلى الخمر التي تمثّل الحريّة والفرح والتمرّد ، وهي وحدها التي تستحقّ أن يشغل المرء عقله وقلبه بها ، والأهمّ من هذا وذاك الهروب من الموت والفناء ؛ وذلك لأنّ حقيقة الموت تكشفُ لنا عبثية الحياة ، وهنا يصرّح الشاعر بمذهبه في الحياة الذي يقوم على التمرّد والخروج على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده ، ويمزج تمرّده الفنّي بالدينيّ بالاجتماعي ، إذ يقول[]:

اخلع عـذارك في الهـوى واشـرب معتّقـة الدنـانِ
و صِـلِ القبيح مجـاهراً فالعيـش في وصل القيـانِ
لا يلهينّـك غيـر مـــا تهوى فـإنّ العمر فـانِ

التمرّد الاجتماعيّ :

وإذا ما كان شعر المُجون في القرن الثاني الهجريّ يمثّل شعر الثورة، والرفض ، والتمرّد، والانتهاك، والخروج على التقاليد الاجتماعية والدينيّة والفنيّة، فإنه لا بد من الإشارة إلى تعرّض الشعراء المُجّان كثيراً للمقدّس الاجتماعيّ ، وذلك عبر الثورة على القيم والتقاليد ، والتمرّد عليها ، والدعوة إلى انتهاكها ، فأبو نواس مثلاً يصرّ على المضيّ في دروب اللذّة متحدّياً مجتمعه ، و متجاوزاً قيمه ، داعياً إلى الجهر بالمعصية (الخطيئة) ، إذ يقول[]:

لســـــــتُ بالتـارك لـذّا تِ الـندامـى للصـــلاحِ
قـلْ لمن يبغي صـــلاحـي بعثُ رشـــدي بطـلاحي
أطيبُ اللـذّات مـــا كـــا ن جهـــاراً بافتضـــــاحِ

والمجاهرة بالخطيئة عند المجّان تقترن بعدم الاكتراث بالناس، والاستهانة بهم وبآرائهم ، والجهر بما لا يجرؤون على المجاهرة به ، إذ يقول :

غدوتُ على اللـذّات منهتكَ الســترِ و أفضتْ بناتُ السرّ منّي إلى الجهرِ
وهـــانَ عليّ الناس فيمـا أريـــدهُ بمـا جئتُ فاستغنيتُ عن طلبِ العُـذرِ

وإضافةً لما سبق ، يمكن ملاحظة عدم اهتمام المجّان واكتراثهم بأيّة قواعد دينيّة أو أخلاقيّة أو اجتماعيّة ، فيتخذون من الإباحة مذهباً، والجهر والصراحة سبيلاً ، ولا يرون للحياة معنىً إلاّ بالسُّكر والفتك والمجون والإنكار ؛ لأنّ فيه خلاصهم من وطأة التفكير بالمصير المحتوم الذي يشغل فكرهم ، وينغّص حياتهم ، كقول أبي نواس[] :

ألا فاســقني خمراً وقلْ لي هي الخمرُ ولا تســقني ســرّاً إذا أمكن الجهرُ
فمـا العيشُ إلاّ ســكرةٌ بعد ســـــكرةٍ فإن طـالَ هذا عندهُ قصُرَ الدهـــرُ
ولا خيرَ فـــي فتكٍ بدون مجـــانـــــةٍ ولا فـي مجونٍ ليس يتبعـــهُ كفـرُ

وعبثيّة الحياة عند الشعراء المُجّان تبدو جليّةً في الإغراق في اللذّة وشرب الخمر، والتي تمثّل مهرباً و ملجأً ومحاولةً للبحث عن عزاءٍ، أو أيّ شيء يمكن أن يحرّرهم من واقعهم، أو يخلّصهم من غربتهم إلى عالمٍ ينشدونه ؛ هو عالم الحريّة والانعتاق ، لذلك نراهم يضعون الحجج والبراهين التي تثبت حريّتهم ، وتؤكّد حقّهم في اللذّة والمتعة وشرب الخمر، فيحشدون حججهم مضافةً إلى الصور التي يزيّنون بها مذهبهم ، كقول أبي نواس[] :

صفـــراءُ تسـلبُكَ الهمـومَ إذا بدتْ وتعيـرُ قلبـكَ حلّـةَ الســـرّاءِ
نمّـــت على ندمائهـــا بنسـيمهـــا وضيـائهـا في الليلـة الظلمـــاءِ

وقوله الآخر[]:

إذا خطـرتْ فيك الهمـوم فداوهـــا بكأســـك حتى لا تكون همـــــومُ

وكثيرةٌ هي الأبيات التي يصرّ فيها المجّان على تحدّي الدين والمجتمع مهما كانت النتيجة ، كقول أبي نواس[] :

الرّاح شـــيءٌ عجيبٌ أنت شـاربهـا فاشـــــربْ وإن حمّلتك الرّاحُ أوزارا
يـا من يلوم على حمراءَ صـافيـــةٍ صِرْ في الجنان ودعني أسكن النارا

ولم يكتفِ الشعراء المجّان بذلك ، بل عرضوا صوراً تجسّد رفضهم الزهد والنسك والعبادة ، وتحضّ في الوقت عينهِ على ترك الزهّاد والنسّاك ، واتباع الظرفاء والمجّان ، وهذا ما عبّر عنه يحيى بن زياد الحارثي بقوله[]:

أقــولُ لذي طـربٍ ضـــاحكٍ إذا ملّ ذو النّســكِ من نسكـهِ
دع النّســـكَ ويحكَ لا تبغــهِ وعـاون أخـاكَ على فتكـــــهِ

ولا تقــع الدهر في صـــــاحبٍ وإن أكثـروا منـــه بل زكّـــــهِ
ولا تبكيـــنّ على نـاســـــكٍ و إن مـات ذو طربٍ فـابكـــهِ

الاستنتاجات والتوصيات

وهكذا يمكن القول : لقد تماهت الوجودية مع فكر الشعراء المجّان ، فلم يكتفوا بالحرية المطلقة وتمجيد الذات الفرديّة ، وما ينجم عنها من قلق وإحباط ، وإنَّما امتدت إلى العبثية ، فتسرّب اليأس والوهم والشك والهروب والضياع إلى نفوسهم ، فها هم يقعون فريسة للشكّ والإنكار، وكثيراً ما يعجزون عن مواجهة مشاكل الحياة والتفكير في همومها ، والمصير المحتوم فيلجؤون إلى الخمر والمجون والعبث ؛ لأنهم وصلوا في بحثهم وتساؤلاتهم عن معنى الحياة والوجود إلى نتيجةٍ مفادُها أنّ الحياة دون معنى ، ولا شيء واقعيّ(حقيقيّ) فيها سوى الموت ، وهي مجرّد سيرورة دائمة نحوه ، فكان سلوكهم العابث الماجن هروباً من هذه الحقيقة، وتمرّداً عليها في آنٍ معاً، أي كان مقاومةً للموت والاغتراب والفقر، وسعيٌ دؤوب من أجل تهميشها بهدف استمراريّة الحياة .

ولعلّ سلوك الشعراء المجّان لأكثر من سلوك حياتي قد يكون هادفاً لإعادة التوازن والاستقرار إلى شخصياتهم وحياتهم التي مرّت بصراعاتٍ متعدّدةٍ في ذواتهم الفرديّة .

وربّما يكون لطبيعة الحياة في عصرهم الذي امتاز بنهضةٍ متعدّدة الجوانب: فكريّة وماديّة واجتماعيّة؛ حيث بنيت القصور، وحفلت بأجواء الغناء والطرب ومجالس اللّهو ...دورٌ بارزٌ في تشجيعهم على الخروج على الضوابط والأنماط الحياتيّة التي كانت سائدة . وبما أن الأدب وثيق الصلة بالمجتمع، فإنّه من الممكن أن يكون التطوّر الحضاريّ حينئذٍ، وتشابه الحياة العبّاسيّة مع القرن العشرين دور في بروز ظواهر فكريّة وفلسفيّة أغنت الأدب العربي القديم ، و لم تُعرف إلا بعد زمنٍ طويل وبعدما جاء منظّروها من الأدباء والنقّاد الغربيين الذين حدّدوا مصطلحاتها.

Reference

•ابن برد، بشار، ديوان، تحقيق: الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957.

Ibn Burd,Bashar,Dewan ،inquiry:Ben Ashoor.A ،Writing and translation commission ، Cairo,1957 .

•ابن المعتز، طبقات الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف ، مصر، دون تاريخ

Ibn Almotaz,Poets category ،inquiry:Farraj A ،dar almaaref,Eygept.

•ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، دون تاريخ .

(in Arabic) . Bairout ،sader Dar ،Alarab Lissan ،Manzour Ibn

•ابن يزيد، الوليد، ديوان ، تحقيق: واضح عبد الصمد، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 1998 .

.Sader,1998 dar ،Birut ،alsamad Abd Wadeh :inquiry ،yazid,Alwaleed.Dewan Ibn

•أبو نواس، ديوان ، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت دار الكاتب العربي، 1984 .

.1984 ،alaraby alkateb dar ،Algazaly,Birute :inquiry ،Nowas,Dewan Abo

•أبو نواس، ديوان، دار صادر، بيروت، 1998 .

.1989 ،Birute،Sader Dar ،Dewan ،Nowas Abo

•أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، بيروت ، دار العودة ،1983 .

(alawda,47. (in Arabic dar ،poetry,Birute Arabic introductionfor ،Adonis,Saeed.A.A

•الأصفر، عبد الرزاق، المذاهب الأدبية لدى الغرب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1991 .

.writer association, Damascues,1991 foreign,Arabic literature trends at ،Alasfar.A.A

●الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ .
.Birut ،alfekr dar ،S Jaber :inquiry ،agany alfarag,Al Asfahany,Abo Al

●بابتي ، د. عزيزة فوال ، الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي، دار الشمال للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ، بيروت، 1986 .
for character and alshamal age,dar Abbassi begining Frame at Babitty,A.Literature .propagation,Birut,1986

●حاوي، إيليا، فنّ الشعر الخمري وتطوّره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، د ت.
.althakafa Birut,dar ،Wine poetry art and its development at Arabs ،Elia ،Hawi

●الحمصي، ديك الجنّ، ديوان، جمع: عبد المعين الملوحي ومحي الدين الدرويش، مطابع الفجر الحديثة، حمص، 1960 .
alfager M,new A.Aldarweesh Almolohy by Aljen,Dewan,collection Deek ،Alhomsy .presses,Homs,1960

●الرفاء، السرّي بن أحمد ، المُحب والمحبوب والمشموم والمشروب، تحقيق: مصباح غلاونجي، طبع مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986 .
printing by Arabic language ،Galawengy inquiry:Misbah ،Amorous and darling ،Alraffa.A . academy,Damascuse,1986

●الرقيق النديم، أبو إسحق إبراهيم، قطب السرور في أوصاف الخمور ، تحقيق: أحمد الجندي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، 1969.
،A.Aljindy :inquiry ،in wine quality alsuroor Kutb ،I assac Abo ،Alnadeem Alrakik .academy Arabic language, 1969 ،Damascuse

●زيادة، معن، الموسوعة الفلسفيّة، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986 .
.Bairout,1986 ،alaraby alenmaa mahad ،Zeadeh Maan،encyclopedia Philosophy

●ضو، محمد حسين ،العبث في الشعر الجاهلي(ثمرة للتمرّد النفسي) ، مجلة الجامعة الأسمريّة .2012، المجلد 16. (University Series. (in Arabic Alasmariya ،*poetry Aljaheli in Absurdity* ،H-Dao,M

●عطوان، د. حسين ، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1987.
.al geel,birut,1987 age,dar Abbassi poem introduction at first Hussain,Arabic Atwan

●غرونباوم، غوستاف فون، شعراء عباسيون، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1959.
.al-Hayat library, 1959 translation:Nagem.M.Y,Birute,dar ،poets Abbassy ،Gronbawm,G.F

الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ، عالم الكتب ، بيروت ،لبنان ، دون تاريخ ، مادة عبث .
Libnan ،Bairout ،alkotob Alam ،almoheet Abady,Al-kamoos Alfairooz

●كامو، ألبير، الإنسان المتمرّد ، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدان بيروت ، باريس ، ط3 ، 1983 .
Camue,Albert ،disaffected human ،translation:Reda-N ،Birut،Awedan publication,Parise .1983،

●المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، المطبعة السلفيّة، القاهرة ، 1343 .
.press,Cairo,1343H poets,Alsalfiya in scientist debit at Almarzabany,M.O,Almowashah

●مطلوب، أحمد، معجم مصطلحات النقد العربي القديم ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطبعة الأولى 2001 .
Libnan of critic,library Term dictionary of ancient Arabic ،Matloob,Ahmad nasheroon,Birut,2001

●المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، وزارة التربية والتعليم بمصر، 1994، مادة عبث .
Almegam Alwajeez)Brief dictionary) ,academy Arabic language.

●يارد، نازك سابا، في فلك أبي نواس، نوفل للطباعة والنشر ، بيروت، 1992 .

Yard.N.S,In Abo nowas orb‹Nofa forl press,Birute,1992